نقدم لك

الطريقة الرفاعية

إمام الطريقة الرفاعية
السيد أحمـــد الرفاعى

« والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا »

هو أبو العباس أحمد بن على بن أحمد بن يحيى الرفاعى البطائحى يصعد نسبه إلى أشرف الأنساب وأعلاها . إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

عاشت أسرته ردحا من الزمن باشبيلية بالأندلس ثم هاجر جده السيد أحمد إلى العراق واستوطن بلدة أم عبيدة ، وعاش بها سيدا وجيها شريفا ، له مكانته وعلمه .

السيد محمود كامل يس
شيخ السادة الرفاعية بالجمهورية

ثم أنجب ابنه على الفقيه ، العابد . الذى كان يلقب فى العراق لوجاهته وعلمه : بالسيد السلطان على : وكان الخليفة العباسى المسترشد بالله يستشيره ويعمل برأيه وينزله من نفسه المكان الأعلى .

وأنجب السيد على ابنه أحمد فى مطلع عام ٥١٢ للهجرة : ثم انتقل السيد على إلى الرفيق الأعلى وابنه لم يتجاوز السابعة من عمره فكفله خاله العلامة أبو بكر الواسطى الذى يرتفع نسبه إلى الصحابى الجليل زيد الأنصارى .

وانتقل به خاله إلى بلدته (نهر دقلى) من أعمال واسط ، وعهد بتعليمه إلى الفقيه الزاهد شيخ واسط وفقيهها الشيخ على أبى الفضل الواسطى المعروف بابن القارىء القرشى، فتلقى عنه علوم الشريعة . ثم تتلمذ لصفوة من علماء واسط ، حتى برع فى العلوم العقلية والنقلية ، ومهر واشتهر ، وعرف عنه أول ما عرف التسامى الخلقى والنهج الصوفى ، والتطوع الدائم للذكر والعبادة ، كأنما تعده العناية لرسالة وغاية .

يقول السيد أحمد : «مررت وأنا صغير على الشيخ العارف بالله تعالى عبد الملك الخرتوتى فأوصانى فقال :

«ملتفت لا يصل ، ومتسلل لا يفلح ، ومن لم يعرف من نفسه النقصان ، فكل أوقاته نقصان ، فخرجت من عنده ، وجعلت أكررها سنة ، ثم رجعت إليه ، فقلت له ، أوصنى فقال :

ما أقبح الجهل بالألباء ، والعلة بالأطباء ، والجفاء بالأحباء ، ثم خرجت وجعلت أرددها سنة فكانت فتحا » .

وهذا نهج فى التربية والمعرفة لا تستطيع مدرسة فى الدنيا أن تنهجه الا مدرسة الصوفية فكل كلمة من تلك الكلمات العالية قاعدة للحياة ومعراج من معاريج الوصول .

« ملتفت لا يصل » لأن الطريق إلى الله ، طريق شوق وحب وكمال ، فمن التفت إلى خارج حدود الطريق ، ضل هدفه ، وتشعبت به السبل .

ومن تسلل إلى الطريق الربانى بدون شيخ ومرشد ، التوى قصده ، وتلقفه التيه المضل ، ومن ظن بنفسه الكمال فكل أوقاته نقصان .

المنهج الصوفى

. . . . واعلم يقينا أيها المريد الصادق ، أن هذا العلم أفضل ما بذلت فى تحصيله الحياة ، وأهلكت فى طلبه الأوقات .

إذ هو زبدة الشريعة ولبها ، ودعامة الديانات وقلبها ، وكيف لا ، وهو التوحيد الخالص الناشىء عن إيقان وعيان ، وذوق ووجدان » .

أحمد الرفاعى

عاشت تلك الكلمات الحية ، المشعة بالنور والهدى فى قلب أحمد فأشرق بها واستضاء ، وتذوق رحيقها ، وارتوى بمعانيها فأقبل على الطريق ، وأخذ العهد من الإمام ابن القارىء

وسلك أحمد طريقه إلى ربه يظلله إيمان ساطع غلاب ، ويحدوه ذوق وشوق ، وتميزه مثالية إيمانية ، وطهارة خلقية ، قل مثيلها بين الأئمة الهداة .

كان شعار السيد أحمد رضى الله عليه . هو الحب ، الحب الذى ملأ قلبه وروحه ووجدانه وآفاق حياته .

كان فانيا فى محبة مولاه وسيده مبدع الكائنات ومسيد الوجود ، ظاهره وباطنه .

ومن هذا الحب انبثق حبه للناس جميعا ، بل حبه لكل حى من إنسان وحيوان ، بل حبه للكون كله ، فالكون عنـــد المتصوفة ليس مادة ، وليس جمادا ، بل هو كائن حى مدرك له إحساسه وشعوره ، كما له إيمانه وتسبيحه : «ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض ، والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه » .

وروى الترمذى عن على ابن أبى طالب قال : كنت مع رسول الله بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا حجر إلا وهو يقول ، السلام عليك يارسول الله » .

ويقول حجة الإسلام الغزالى : إن الإنسان ليس عليه أن يساعـــد الإنسان والحيوان فحسب ، بل عليه أن يمد يده بالخير إلى كل شىء ، فيساعد النبات فى نموه والماء فى جريانه ، فيزيل العقبات من امام هذا وذاك » .

ويقـــول العالم الأمريكى « لوثر بربنيك » : إن تهذيب

من أوراد الرفاعية

اللهم إنى أسألك من النعمة تمامها . ومن العصمة دوامها : ومن الرحمة شمولها . ومن العافية حصولها . ومن العيش أرغده . ومن العمر أسعده . ومن الاحسان أتمه . ومن النعام أعمه . ومن الفضل أجزله . ومن المطلب أجله . اللهم كن لنـــا ولا تكن علينا . اللهم اختم بالسعادة آجالنا . وحقق بالزيادة آمالنا . واقرن بالعافية غدونا وآصالنا . واجعل الى رحمتك مصيرنا ومآلنا . واصبب سجال عفوك على ذنوبنا . وجد علينا باصلاح عيوبنا . واجعـــل التقوى زادنا . وفى دينك اجتهادنا . وعليك توكلنا واعتمادنا : والى رضوانك معادنا . اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة . وأعذنا فى الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة . اللهم خفف عنا ثقل الأوزار . وارزقنا عيشة الابرار . واكفنا شر الأشرار . وأعتق رقابنا ورقاب أبنائنا وأمهاتنا واخواننا من النار . ياعزيز ياغفار . ياكريم ياستار ياحليم ياجبار يا أله يا أله يا أله اللهم أرنى الحق حقا وارزقنى اتباعه . وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه . ولا تجعل على متشابها فأتبع الهوى . اللهم إنى أعوذ بك أن أموت فى طلب الدنيا . برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

النبات مسألة محبة وإقناع ، وليست تجربة علمية ، وبراعة صناعية فحسب .

ثم يتحدث عن شجرة الصبار التى نجح فى تجريدها من الشوك فيقول : إنه أقنع الصبار بأن سلاح الشوك فضول لا حاجة إليه ، وأن الحماية مكفولة له بغير هذا السلاح » .

أما العالم الهندى « جافاريس » فقد ابتدع آلات راصدة تسجل تجـــاربه على أعصاب الشجر والحجر وتريك رأى العين أنها تنفعل بالمخدرات ، كما تنفعل بالصدمات والاساءات »

ولقد ضربنا هذه الأمثال للناس ، لنبين لهم . أن ميراث الرفاعية من إمامهم الأول . السيد أحمد الرفاعى فى ترويض الأفاعى ، والهيمنة عليها وكف شرها وأذاها ، ليس خرافة ولا بدعة ، إنما حقيقة شامخة ، وثيقة الصلة بالإيمان ، ووثيقة الصلة بالعلم ، قديمه وحديثه ، العلم بمدلوله الروحى ، وبمعناه المادى معاً .

ونعود فنقول ، أتم السيد أحمـــد رضوان الله عليه تنقلاته فى الأحوال والمقامات ، والإحاطة بالرقائق والدقائق ، ومناهج الطريق حتى بلغ ذروتها العليا ، فلما آن أوان إمامته وخلافته ، انتقل خاله وشيخه الشيخ منصور فى عام ٥٤٠ هـ إلى جوار مولاه رحالقه ، بعد أن عهد بمشيخة الشيوخ ، وبمشيخة الأروقه المباركة إليه .

ودوى اسم السيد أحمد فى الآفاق ، وارتفع قدره ، وسطع فضله ، وهرع إليه الناس من كل حدب ، وأصبح إمام العراق وسيده .

يقول الإمام جمال الدين الخطيب : « ليس على وجه الأرض فى هذا العصر من مجلس فى علم الحقيقة ولباب الشريعة ، يرده الوارد وتحصل به الفوائد ، مثل مجلس السيد أحمد بن الرفاعى فانه مدرسة العلماء ، ورباط الفقراء ، وروضة السالكين ، ومحجة العارفين » .

ثم يقول : « ولقد تتلمذ له خلائق لا يحصون فى كل بلد وقطر ، منهم الأئمة والأعيان ، ولم يكن فى مدن المسلمين مكان يخلو من زاوية أو موضع برسمهم .

ويقول العلامة شمس الدين بن الجوزى : « قال لى بعض شيوخنا : حضرت عند السيد أحمد الرفاعى ليلة نصف شعبان وعنده نحو عشرة آلاف إنسان يطلبون دعاءه ويلتمسون بركته »

وكان رضوان الله عليه ، كشأن المتصوفة جميعا ، قائماً بكلمة الحق لا يخشى فيها لومة لائم يصرح بها الأشهاد ، ويبلغها إلى الناس سواء عنده العامة والبسطاء ، أو الملوك والأمراء .

يرسل إليه الخليفة العباسى المستنجد بالله ، يستنصحه فيرسل إليه السيد أحمد كلمات لا يقولها إلا الصفوة الهداة من عباد الله :

« أما بعـــد . . من الفقير إلى الله تعالى أحمد بن على أبى الحسن ، إلى الخليفة أمير المؤمنين أبى أحمد المستنجد بالله العباسى الهاشمى »

يا أمير المؤمنين :

« إن أنت أنفدت أحكام الله تعالى فى نفسك ، نفذت أحكام كتبك فى ما تحكم . وإن عظمت أمر الله ، عظم الناس عمالك وولاة الأمور من قبلك . . ثم زن يا أمير المؤمنين كل ما يصل إلى خويصة نفسك فى هذه الدنيا من طعام تأكله وشراب تشربه ولباس ترتديه واجعل الشره على الدنيا بقدر ذلك ، فإن رداءك ما ستر بدنك وطعامك ما أشبعك ، وما لك ما أنفقت . . . وعليك بأهل العقل والدين ، وإياك وأرباب القسوة والغدر والضلال ، فهم أعداؤك ، وإذا أحببت فحكم الانصاف فى عملك ، وإذا كرهت فاذكر الله ، والخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة ، وساو الناس برا وفاجراً ، مؤمناً وكافراً ، فى باب عفوك »

تلك القوة الإيمانية الهادية العالية . هى التى أهلته لحب الله وحب رسوله . وأهلته لتلك اللفتة المباركة التى اختص بها .

روى الإمام أبو الفرج الواسطى قال : « حج السيد أحمد الرفاعى عام ٥٥٥ هـ فلما وصل المدينة وتشرف بزيارة جده ﷺ وقف تجاه الحجرة الشريفة ووقفنا خلف ظهره . فقال : السلام عليك يا جدى ، فقال له ، وعليك السلام يا ولدى ، فتواجد لهذه النفحة وقال منشدا

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها ... تقبل الأرض عنى فهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فمد له رسول الله ﷺ يده الشريفة من قبره الكريم فقبلها فى ملأ يقرب من تسعين ألف رجل »

تلك رواية شاهد ثقة . . ومعجزاته ﷺ لا تنقطع عن هذا الكون ولا عن أمته حياً ومنتقلا .

وقد ورد فى الحديث الصحيح « . . صلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم » ويقول صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلاة واحدة كتب له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ورددت عليه أنا وملائكة ربى » ويقول صلوات الله عليه : « مامن أحد يسلم على إلا رد الله إلى روحى فأسلم عليه » .

ورضوان الله على السيد الإمام الرفاعى إذ يقول : « طريق دين بلا بدعة ، وهمة بلا كسل ، وعمل بلا رياء ، وقلب بلا شغل ، ونفس بلا شهوة »

وذلك منهج فى الإيمان وفى المعرفة وفى السلوك لا يطاول ولا يظفر به إلا الصفوة المختارة من المؤمنين العابدين .

ولقد ورث أتباع الرفاعى وخلفاؤه ، منهجه وحاله ، ونالتهم بركاته ونفحاته . وتخلقوا بخلقه المثالى الرفيع . فانتشرت طريقتهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وغدت منارة ومحجة لمئات الملايين ، عبر القرون والسنين .

ففى كل بقعة من بقاع العروبة والإسلام ، لهم شعبة ومقام ، وهاد يرشد الناس ويأخذ بأيديهم إلى مناطق النور والإيمان .

ويتولى مشيخة الطريقة الرفاعية اليوم فى الجمهورية العربية المتحدة . الأستاذ الفاضل محمود كامل يس . حفيد الشيخ وخليفته .. وإن فى خلق محمود وأدبه وإنسانيته ، لعطراً من جده ، وبريقاً من إمامه ؟

طه عبد الباقى سرور

تقول ريحانة بيت النبوة السيدة نفيسة . فى التسليم لله

فى أمور تكون أو لا تكون ... لم تنم أعين ونامت عيون
إن الذى كفاك ما كان بالأمـ ... ـس سيكفيك فى غد ما يكون

وفى الحب الإلهى يقول شيخنا الأكبر محيى الدين بن عربى

ذبت اشتياقاً ووجداً فى محبتكم ... فآه من طول شوقى آه من كمدى
يدى وضعت على قلبى مخافة أن ... يشق صدرى لما خاننى جلدى
ما زال رفعها طوراً وخفضها ... حتى وضعت يدى الأخرى تشد يدى

ويقول المحب الشهيد الحلاج

وأى أرض تخلو منك حتى ... تعالوا يطلبونك فى السماء

ندوة الإســـلام والتصوف

اجتمعت ندوة الإسلام والتصوف الشهرية فى مساء يوم الاثنين الموافق ٣٠ من شوال عام ١٣٧٧ هـ — ١٩ مايو عام ١٩٥٨ م بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية .

وقد حضرها الأساتذة . . . محمد محمود علوان ، الدكتور عبد الحليم محمود ، الدكتور محمد وصفى ، ابراهيم سلامة الراضى ، لبيب البوهى ، سلامة نويتو ، حيفى الساكت ، طه عبد الباقى سرور .

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد علوان بكلمة طيبة رحب فيها بالسادة المجتمعين وهنأهم بظهور مجلة الإسلام والتصوف التى ستحمل لأول مرة فى تاريخ الفكر والصحافة رسالة التصوف وتنطق باسم مشيخته .

ثم عرض الأستاذ طه عبد الباقى سرور ، موضوع الندوة . وهو :

« هل التصوف الإسلامى ، يدعو إلى الزهد والعزلة والسلبية ، أم هو ، قوة إيجابية لها أثرها وتوجيهها ، فى حياة الفرد والجماعة والأمة الإسلامية .

واقترح الدكتور محمد وصفى . أن تبحث الندوة العلمية أيضاً . موقف التصوف ورأى شيوخه فى المعرفة الباطنية أو العلوم اللدنية ، نظراً لأهمية البحث وخطورته ، وتعدد الآراء حياله ، ووافق المجتمعون على اقتراح سيادته ، على أن تبدأ الندوة بفكرة التصوف : بين الإيجابية والسلبية :

الأستاذ لبيب البوهى .

أرجو أن تدور المناقشة أولا حول معانى كلمة « التصوف » وعلى هذا الأساس . تحدد رأيه فى الحياة . سلبية أم إيجابية . ؟